

الدعاية وأثرها على الاحتجاجات: خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه أنموذجاً
Propaganda and Its Impact on Protests: The Caliphate of 'Uthmān ibn 'Affān (may Allah be pleased with him) as a Model

ط د . سيليني نورالسادات^{1*} ، أ.د. مصطفى بوعقل²

¹ جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة-كلية العلوم الإسلامية، مخبر الشريعة-جامعة الجزائر1

n.silini@univ-alger.dz

² جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة-كلية العلوم الإسلامية، m.bouakel@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2025-07-21 تاريخ القبول: 2025-09-05 تاريخ النشر: 2025-12-20

ملخص:

تعتبر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه أحد أبرز النماذج التاريخية التي تكشف خطورة الخطاب التحريضي والدعاية الكاذبة في تأجيج الفتن وزعزعة الاستقرار السياسي والاجتماعي. ويُسلط البحث الضوء على الوسائل التي استُخدمت لنشر الدعاية في تلك المرحلة، مثل الرسائل المزورة، الإشاعات، والطعن على الخليفة والولاة، مع بيان الدور الخطير الذي قامت به بعض الشخصيات المثيرة للفتنة، وعلى رأسها عبد الله بن سبأ وأتباعه. ومستعرضاً طرق الاحتجاج التي استعملها الثوار كالتجمهر والمسيرات والعصيان المدني، وصولاً إلى العنف والاغتيال. كما تمّ بيان طريقة تعامل الخليفة عثمان بن عفان مع هذه الاحتجاجات. وفي الأخير إظهار الآثار الوخيمة التي ترتبت على تلك الاحتجاجات، من سقوط هيبة الدولة وانقسام الأمة وظهور التيارات المتطرفة.

الكلمات المفتاحية: الدعاية ؛ الاحتجاجات ؛ الخلافة ؛ عثمان بن عفان.

Abstract :

The caliphate of 'Uthmān ibn 'Affān (may Allah be pleased with him) stands as one of the most significant historical examples that reveal the danger of inciting discourse and false propaganda in fueling discord and destabilizing political and social order. This study sheds light on the means used to spread propaganda during that period, such as forged letters, rumors, and slander against the Caliph and his governors. It also highlights the dangerous role played by certain figures who stirred up sedition, foremost among them 'Abd Allāh ibn Saba' and his followers. The research further examines the methods of protest employed by the rebels, including gatherings, marches, civil disobedience, and ultimately violence and assassination. It also outlines how Caliph 'Uthmān dealt with these protests. Finally, it presents the grave consequences resulting from these events, including the collapse of state authority, division within the Muslim community, and the emergence of extremist factions.

Keywords: Propaganda; Protests; Caliphate; Uthman ibn Affan.

مقدمة:

عُرفت الدعاية في المجتمع البشري منذ أول التاريخ ولم تفتأ تتطور وتتغير حسب العصر الذي رُوجت فيه، والدعاية هي الوسيلة التي تلجأ إليها المعارضة لتشويه صورة أعدائها وبثّ الإشاعات والكذب، والتشويه والتلاعب والتضليل. والتي ينتج عنها الاحتجاجات والثورات التي شهدها البشرية

* المؤلف المرسل.

قديمًا وحديثًا.

وفي عصر الخلافة الراشدة تعتبر مرحلة الخليفة عثمان رضي الله عنه من أخطر المراحل التي مرت بها الدولة الإسلامية، حيث لعبت الدعاية الكاذبة والتحريضية دورًا جوهريًا في إشعال نار الاحتجاجات والتمرد، وأحدثت شرخًا عميقًا في الجسد السياسي والاجتماعي للأمة الإسلامية، ما كاد يؤدي بها، وقد أعقبتها فتن داخلية أخرى تتصل بها وتتفرع عنها، كما استمرت آثارها إلى العصور التي بعد خلافة عثمان، وإلى الوقت الحاضر.

الإشكالية التي تثيرها هذه الدراسة هي: ما مدى تأثير الدعاية في إشعال الاحتجاجات التي ظهرت في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه؟

وتسعى إلى الإجابة على الأسئلة التالية: ما مفهوم الدعاية والاحتجاجات؟ ماهي أهم الأحداث والأعمال في خلافة عثمان رضي الله عنه؟ كيف أثرت الدعاية على الاحتجاجات في خلافة عثمان؟ وكيف تعامل الخليفة معها؟ ماهي أهم نتائج هذه الاحتجاجات؟

فرضيات البحث:

تنطلق الدراسة من فرضيات مفادها:

- الدعاية الكاذبة كانت العامل الأساسي في تأجيج الاحتجاجات ضد الخليفة عثمان رضي الله عنه.
- وجود شخصيات حاكمة وراء نشر هذه الدعايات.
- أساليب الدعاية وكذلك طرق الاحتجاج التي استخدمها المعارضون كانت متنوعة.
- التعامل الحكيم من الخليفة عثمان رضي الله عنه مع الاحتجاجات كان بناء على حرصه في حقن الدماء وحفظ الاستقرار.

أهداف البحث:

- بيان مفهوم الدعاية والاحتجاجات.
- تحليل الأحداث التي وقعت في خلافة عثمان بن عفان.
- إبراز الشخصيات والأساليب التي أسهمت في الاحتجاجات.
- بيان طرق الاحتجاج التي اتبعتها المعارضون آنذاك.
- إبراز الموقف الشرعي للخليفة من تلك الاحتجاجات.

المنهجية المتبعة:

- اعتماد المنهج التاريخي التحليلي.
- الاختصار بما لا يخل بمقصود البحث.
- الاعتماد على مصدر واحد عند نقل المعلومة.

ولتجلية هذا الموضوع تمّ اعتماد الخطة التالية:

أولاً: التعريف بمفردات العنوان: الدعاية والاحتجاج لغة واصطلاحاً، ثم الحديث عن خلافة عثمان: طريقة استخلافه، ومنهجه في الحكم وأهم الأحداث التي وقعت في عهده، وكذلك مصوغات الاحتجاج عليه.

ثانياً: أساليب الدعاية وأثرها على الاحتجاجات في عهد الخليفة عثمان: وهنا تم التطرق إلى الشخصيات المحركة للاحتجاجات، والعوامل المهيئة لها، وأثر الدعاية في إشعال الاحتجاجات، وطرق الاحتجاج التي استعملها الثوار، وأخيراً طريقة تعامل الخليفة مع الاحتجاجات.

ثالثاً: وفيه أهمّ نتائج هذه الاحتجاجات. وارتباط الموضوع بواقعنا المعاصر.

1.. التعريف بمفردات العنوان:

1.1.. تعريف الدعاية لغة واصطلاحاً:

1.1.1.. تعريف الدعاية لغة:

الدعاية في اللغة أصلها دعا، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، فتكون الدعاية دعوة إلى مذهب أو رأي أو سلعة ونحوها (ابن فارس، 1382 هـ، ج 2 ص 79).

1.2.1.. تعريف الدعاية اصطلاحاً:

الدعاية أو (البروباغاندا)، اصطلاح قديم يعود إلى القرن السادس عشر، وعلى وجه الدقة إلى عام 1597م، وأصلها لاتيني، ترجع إلى الفعل (Propagatus)، الذي يعني إعادة غرس العسلوج (وهو نبتة عشبية لذينة) ليعطي نباتاً جديداً في مكان جديد. ثم شاع استعمال المصطلح في الأزمنة المتأخرة كثيراً (حمليل، 2007، ص 211)، وقد عرّفت بأنها: (هي التأثير على آراء ومعتقدات الجماهير الأفراد لقبول وجهات النظر التي تدعو لها والتشبع بها وقد تلجأ في ذلك إلى تشويه الحقائق وتحريفها لجعلها تتخذ اتجاهها معيّناً نحو نظام أو مذهب بصورة إيجابية أو سلبية، كما تحاول تهيئة نفسيات) (بدوي، 1985، ص 126).

ويرى الباحث نورمان جون ياول أن: (الدعاية: نشر الآراء ووجهات النظر التي تؤثر على الأفكار أو السلوك أو كلاهما معا) (حمليل، 2007، ص 213).

أما الباحث ليونارد دوب _ وهو من أشهر من كتب في موضوع الدعاية _ قال: (يمكن أن تُسمى الدعاية بمحاولة التأثير على الشخصيات والسيطرة على سلوك الأفراد لأغراض تُعتبر غير عملية أو مشكوك في قيمتها في مجتمع ما إبان وقت معين) (حمليل، 2007، ص 213).

2.1.. تعريف الاحتجاج لغة واصطلاحاً:

1.2.1.. تعريف الاحتجاج لغة:

معاني حجج كثيرة منها القصد، يقال: حجّته: قصده. ومنه الحجّة، وهي: الدليل والبرهان، وسُمّيت حجّة لأنها تُحجّ أي تقتصد (ابن فارس، 1382 هـ، ج 1 ص 156).
إذاً معنى الاحتجاج في معاجم اللغة العربية هو إقامة الحجّة والبرهان. لكن بالنظر إلى الدلالة التي تثيرها كلمة "الاحتجاج" لأوّل وهلة لدى السامع في عصرنا هذا نجد أنها تعني: المعارضة والاستنكار، وهذا يفيد أنّ هذه اللفظة خضعت لتأثير عوامل معيّنة نقلت دلالتها من إقامة الحجّة والبرهان إلى المعارضة والاستنكار.

2.2.1.. تعريف الاحتجاج اصطلاحاً:

إنّ الباحثين في الحركات الاحتجاجية وطرق الاحتجاج، اهتموا أساساً بتعريف الطرق التي يكون بها الاحتجاج كالمظاهرات والإضرابات والمقاطعة وغيرها، ومع ذلك وجدت بعض المحاولات من الباحثين لبيان ماهية هذا المصطلح، من ذلك:

قولهم هي: (رسالة يقوم بها الشعب لتدرك السلطة ما يعانيه الشعب من أهوال لتقوم بسد ثغرات وإصلاح حياة الناس) (المشاقبة، 2014، ص4).

وقيل هي: (سلوك جماعي منظم، لفاعل طبقي يناضل ضد عدوه الطبقي من أجل الهيمنة الاجتماعية على التاريخية في مجتمع معين فهي وفق هذا المنحى فعل صراعي للفاعلين الاجتماعيين أو للمجموعات الاجتماعية المتنازعة على الهيمنة والموارد) (Maheu et Descent, 1990، p. 41–51).

أما الباحث برنارد شفارتز فقال هي: (طريقة للتعبير عن رأي جماعة أو حزب سياسي أو شخص، ويكون الشخص عادة في منطقة ذات شهرة واسعة لتوصيل الصوت إلى اغلب شرائح المجتمع وفي الأغلب يتحول إلى صراع بين المحتجين ورجال الأمن) (شفارتز، 1974، ص5).

وبعد النظر في هذه التعريفات وغيرها، تبين لي أن الاحتجاج هو: (أسلوبٌ للمحتج في التعبير عن رفض واقع لا يرضاه، أو استنكار تصرف صدر من المحتج عليه أو مثله، وغاية ذلك إخضاع المحتج عليه لطلب المحتج، معتمداً في ذلك على طرق تقليدية أو مبتكرة، عفويا كان الاحتجاج أم مخططاً له) (هذا التعريف خاص بالباحث).

3.1.. خلافة عثمان:

1.3.1.. استخلاف عثمان ومنهجه في الحكم:

1.1.3.1.. استخلاف عثمان:

كانت بيعة عثمان رضي الله عنه، بعد اجتماع مجلس الشورى الذي عينه عمر رضي الله عنه بعد طعنه من قبل المجوسي، وأعضاء مجلس الشورى الستة هم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، على أن يختاروا من بينهم من يلي الخلافة، فاجتمع الستة بعد دفن عمر رضي الله عنه في دار المسور بن مخرمة وتباحثوا فجعلوا الأمر إلى ثلاثة: علي وعثمان وعبد الرحمن، فانسحب عبد الرحمن، وطلبوا منه أن يجتهد في اختيار الأولى بالخلافة، فاجتهد وسأل واستشار، واستقر الأمر على تولية أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه. (الطبري، 1967، ج 4 ص 27 وما بعدها).

2.1.3.1.. منهج عثمان في الحكم:

اعتمد الخليفة في حكمه على منهج ربّاني نبوي؛ حيث أعلن أن مرجعيته العليا لدولته كتاب الله وسنة رسوله، والاقتداء بالشيخين في هديهم، وأنه سيكون متّبعا لا مبتدعا (الطبري، 1967، ج 5 ص 244).

أمّا مع ولّاته ورعيّته اعتمد التواصل أسلوباً لحكمه، فكان دائم النصّح لولاته بالعدل والرحمة بين الناس، وكان يكتب إلى عماله ببعض التعليمات الخاصة في الأمور المستجدة التي تتعلق بإدارتهم للولايات إضافة إلى كتبه العامة والتي يصدر فيها تعليمات محددة يلتزم بها الجميع، وجعل الاتصالات

المستمرة قائمة بينه وبين ولاته، لبحث مختلف شؤون الدولة، وكذلك كان يكتب -في كثير من الأحيان- إلى العامة في الأمصار ناصحاً، حتى يساعد الولاة في تسيير أمور الرعية (الطبري، 1967، ج 5 ص 45). واتخذ الخليفة أيضاً في دولته، مجلساً للشورى يتألف من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، وقد كان يحث ولاته وقادته على مشاورته في شؤون الرعية، وكان القادة العسكريون في إدارتهم للمعارك الحربية يتشاورون فيما بينهم ويطلعونه على ذلك، كما شاور عثمان كبار الصحابة في جمع القرآن وفي قضية قتل عبيد الله بن عمر للهزلمان، وغيرها من الأحداث (الطبري، 1967، ج 4 ص 261 وما بعدها).

1.2.3.2.. أهم الأحداث في خلافة عثمان ومصوغات الاحتجاج عليه:

1.2.3.1.. أهم الأحداث في خلافة عثمان:

وقعت في خلافة عثمان أحداث كثيرة، كانت سبباً مباشراً أو غير مباشر في الاحتجاج والثورة عليه، وهذه الأحداث منها ما يخص الخليفة، مثل توسعته المسجد الحرام، وجمع القرآن في مصحف واحد، وحرق باقي المصاحف، وزيادة الأذان الثالث، وأيضاً عدم قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب قصاصاً؛ لأنه قام بقتل من شك فيهم بأنهم كانوا وراء قتل أبيه عمر بن الخطاب.

وهناك أحداث عامة، مثل قيامه بعزل الولاة وتغييرهم؛ ووفاة الكثير من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: أبي بن كعب، أبو الدرداء، أبو طلحة الأنصاري، العباس بن عبد المطلب، عبد الله بن مسعود، عبد الرحمن بن عوف، سلمان الفارسي، أبو ذر الغفاري؛ وأيضاً توسع الغزوات والفتوح أهمها: فتح الأندلس، وخرسان، وكرمان، وسجستان وكابل (ابن كثير، 1420هـ، ج 10 ص 33. ج 10 ص 224. ج 10 ص 311 وما بعدها).

1.2.3.2.. مصوغات الاحتجاج على الخليفة عثمان:

اعتمد المحتجون على أحداث لتأليب العامة على الخليفة، وجعلوها مصوغات للثورة عليه؛ من ذلك: قولهم أن عثمان لم يشهد غزوة بدر، مع أنه كان معذوراً لانشغاله بمرض زوجته رقية، لذلك ضرب النبي صلى الله عليه وسلم له بسهم فيها من الغنيمة والأجر. ومن المصوغات أيضاً قولهم أنه في معركة أُحُد تولى عن القتال، وهذا سبب ساقط لأن الله تعالى قد عفا عن جميع المتولين، فدخل فيهم من هو دون عثمان في الفضل، فكيف لا يدخل هو مع فضله وكثرة حسناته. لكن المحتجين عليه كانوا يفتشون عن مسوغات للفتنة والثورة عليه، فتشبهوا بهذا الأمر وبغيره.

وقال الثَّوَار أيضاً أن عثمان لم يشهدبيعة الرضوان، وهذا من أغرب ما ادَّعوه، لأن البيعة أساساً كانت بسبب عثمان، والنبي صلى الله عليه وسلم بايع بيده على اليد الأخرى عن عثمان. ومن المصوغات أن عثمان ابتدع جمع القرآن في مصحف واحد، وهذا كذب صريح لأن أول من فعل ذلك هو الخليفة الصديق وبموافقة جميع الصحابة.

ومما عيب على عثمان أنه كان يوليّ صغار السنّ وأقاربه الأمويين، وهذا لأجل التشغيب على الخليفة، وإلا فالنبيّ وصاحبه قد فعلا ذلك من قبل، لأنّ صغار السنّ هؤلاء كانوا أحق بالتولية من غيرهم لكفاءتهم، وفيما يخص توليته الأقارب، فتجدر الإشارة إلى أنّ عدد ولّاه عثمان قد بلغ حوالي أربعاً وثلاثين واليا، منهم سبعة فقط تربطهم روابط القرى بالخليفة (الصبحي، 2003، ص 65 وما بعدها).

2.. أساليب الدعاية وأثرها على الاحتجاجات في عهد الخليفة عثمان:

1.1.2.. الشخصيات المحركة للاحتجاجات والعوامل المهيئة لها:

1.1.2.1.. الشخصيات المحركة للاحتجاجات:

عند النظر في أحداث هذه الثورة، يلاحظ أن إشعالها تم من خلال تخطيط مدبر، وأن وراء ذلك جماعة منظّمة، لذلك فمن غير الممكن عزو ذلك كله إلى فرد واحد. ومن أبرز المحرّضين في هذه الثورة:

1.1.2.1.1.. عبد الله بن سبأ:

أدّى ابن سبأ دوراً لا يستهان به في إشعال الاحتجاجات ضد الخليفة عثمان، وقد كانت هناك أجواء للفتنة مهدت له وعوامل - سبق ذكرها - ساعدته، وبرع ابن سبأ في إذكاء نار الفتنة وغرس بذور الشقاق، وبدأ من مصر، فهناك أخذ ينظم حملته ضد الخليفة (الطبري، 1967، ج 5 ص 348).

2.1.1.1.2.. كنانة بن بشر التجيبي:

يعدّ كنانة أحد رجال ابن سبأ في مصر، وكان أميراً على إحدى الفرق الأربع التي زحفت على المدينة، كما كان له دور بارز في حصار عثمان في داره، حيث كان في طليعة الذين اقتحموا الدار على عثمان، ولقد قبض معاوية بن أبي سفيان عليه في مصر وسجنه مع من سجن بفلسطين، فهربوا من السجن فأدركهم والي فلسطين فقتلهم (الطبري، 1967، ج 4 ص 341).

3.1.1.1.2.. عمير بن ضابئ:

هو عمير بن ضابئ البرجي الحنظلي التميمي، من سكان الكوفة، كان حاقداً على الخليفة وسبب ذلك، أنّ عثمان سجن أباه (ضالي بن الحارث) حتى مات في السجن. ومن حقه على عثمان أنه لمّا استشهد، جاء عمير وكسر ضلعاً من أضلاعه الشريفة (الطبري، 1967، ج 4 ص 403).

2.1.2.. العوامل المهيئة للاحتجاجات (الصّلاحي، 2002، ص 311):

1.2.1.2.. التحوّل في بنية المجتمع:

لما توسّعت الدولة الإسلامية بعد الفتوحات، ظهرت تحوّلات في التركيبة المجتمعية، إذ ورثت ما على هذه الرقعة الواسعة من أجناس وثقافات مختلفة، ممّا كوّن نسيجاً غير متجانس، خاصة في الأمصار الكبرى كمصر والكوفة، حيث استقبلت أعداداً من أبناء المناطق المفتوحة: كالفرس والروم، وتجدر الإشارة إلى أنّ أغلب هؤلاء الفاتحين هم من القبائل العربيّة من جنوبها وشمالها وشرقها،

والذين لم يكونوا في أغلبهم من الصحابة، لذلك كان تأثيرهم على هاته الأجناس الوافدة ضعيفا. ونتيجة لما سبق حصلت تغيرات في النسيج المجتمعي، المكوّن من الجيل السابق وسكان البلاد المفتوحة، والأعراب ومن سبقت لهم ردة، واليهود والنصارى، فظهرت فيه المطامع الفردية، وخاصة أن بعضهم مازالت فيه رواسب الجاهلية، ولم ينهلوا من التربية النبوية، وذلك لكثرتهم وانشغال الفاتحين بالحروب والفتوحات الجديدة، فوجد دعاة الثورة في المنحرفين منهم وضعاف النفوس بيئة خصبة لبث الدعايات.

2.2.1.2. جاهزية المجتمع لتلقي الشائعات:

في حين كان الناس في خلافة أبي بكر وعمر، أقرب عهداً بالرسالة وأعظم إيماناً وصلاحاً، لم تقع بينهم وفيهم فتن، لكن في آخر خلافة عثمان وعليّ، كثر أهل النفوس الضعيفة، فصار فيهم شهوة وشبهة، لهذا السبب كان المجتمع مهياً للاضطرابات، قابلاً لاحتواء الشائعات، نتيجة عوامل وأسباب متداخلة -تمّ ذكرها سابقاً-، وكانت الأرض مهيأة، ونسيج المجتمع جاهزاً لتلقي الدعايات.

3.2.1.2. العصبية الجاهلية:

إنّ الذين ظفروا بالصحبة النبوية، والاقتراء بهديه وآدابه -صلى الله عليه وسلم- هم المهاجرون والأنصار وقريش، وقليل من غيرهم. وأمّا سائر العرب، فلم يكونوا في تلك الصحبة بمكان، إلا قليل منهم، لكن كانت لهم في الفتوحات مآثر، وبسبب ذلك رأوا أنّ لهم مزية على غيرهم، ورأوا أنّ الزعامة مقتصرة على المهاجرين والأنصار وقريش، فأنفقت نفوسهم، ودبت فيهم العصبية، فكانوا في عهد عثمان يظهرون الطعن في ولاته بالأمصار، وتصيّد زلاتهم، وفشت المقالة في ذلك في أتباعهم، ممّا مهّد للاضطرابات والاحتجاجات على الخليفة.

4.2.1.2. زيادة نشاط الحاقدين:

لقد دخل في الإسلام منافقون حاقدون اجتمع لهم من الحقد والدّهاء، ما استطاعوا به أن يدركوا مواطن الضعف التي يستطيعون من خلالها إثارة الفتنة، ووجدوا الأذان صاغية، فكان من آثار ذلك ما كان.

ويضاف إلى هؤلاء الحاقدين، من وقع عليه حدّ أو تعزيز لأمر ارتكبه، فعاقبه عليه الخليفة أو ولاته في بعض الأمصار وبالذات البصرة والكوفة ومصر والمدينة، فاستغلّ أولئك الحاقدون من يهود ونصارى وفرس وأصحاب الجرائم، مجموعات من الناس معظمهم من الأعراب، ممّن لا يفقهون هذا الدين على حقيقته، فتكوّنت لهؤلاء جميعاً طائفة وُصفوا بالغوغاء.

2.2. أساليب الدعاية وأثرها في إشعال الاحتجاجات:

1.2.2. أساليب الدعاية في عهد الخليفة عثمان:

1.1.2.2. الإشاعة والتحريض:

كانت الإشاعات أكثر الأساليب استخداماً من قبل الثوريين، هذا لسبب واضح، وهو أن هذا

الأسلوب هو الأنجع والأيسر لتحريض الرأي العام على الخليفة وولّاته، وأيضا نتائجه فورية وغاياته جسيمة.

ومن ذلك: أنّ الخليفة يعطي الأعطيات لأقاربه وولّاته، التي عبارة عن مكافآت على بعض الأعمال، وأنه يقتطع جزء من الأرض المملوكة للدولة ويعطيها لبعض أتباعه، إضافة إلى توليته صغار السن، وتفضيله أقاربه في المناصب (الصبيحي، 2003، ص 631).

2.1.2.2.. الطّعن على الولاة:

إنّ الطعن في الولاة كانت من أهم الأمور التي استعملها المحتجّون للتشغيب بها على الخليفة، لابسين في ذلك ثوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدفاع عن المظلومين، فكانوا يؤاخذون الولاة على كلّ زلّة، ويثيرون لأصغر الحوادث، ويمتنعون عن طاعتهم، وكانوا يكتبون الرسائل في ذلك يوضحون فيها تذرّهم وشكواهم من عمال الخليفة عثمان، وكانت هذه الرسائل تقرأ في الأمصار المختلفة، فتثير الفتن، وينشأ عند العامة تصور للسوء والفوضى والظلم الذي انحدرت إليه الدولة. ممّا جعل النّاس يطالبون باستبدال الولاة وعزلهم، ثمّ تطورت المطالبة إلى خلع عثمان (الطبري، 1967، ج 5 ص 347).

2.1.2.3.. الطّعن على الخليفة والتقليل من شأنه:

تولّى ابن سبأ شخصيا هذه المهمة القذرة؛ حيث كان يحرض الناس حتى اجتمعوا عليه، ويكثر الطعن على الخليفة عثمان، مفترين أنّ عليا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنّه الأحق بالخلافة، وأنّ عثمان أخذ الأمر بغير حق، فجعل عليّا مهضوم الحقّ، وعثمان مغتصباً. إضافة إلى تلك الفرية، قام ابن سبأ بنشر الإشاعات المغرضة على عثمان، مثل: تحيزه لأقاربه، وإغداق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وأنّه حى الحمى لنفسه، إلى غير ذلك من التّهم، والمطاعن التي حرك بها نفوس الغوغاء ضدّ الخليفة (الطبري، 1967، ج 4 ص 340)..

2.1.2.4.. إبراز الجوانب السلبية للحياة الاجتماعية والسياسية:

ممّا قام به ابن سبأ اليهودي لإشعال الاحتجاجات، حضّ أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفاجئة عن مصرهم إلى بقية الأمصار، وهكذا يتخيل النّاس في جميع الأمصار أنّ الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه، فيتخيل أهل البصرة مثلاً أنّ حال أهل مصر أسوأ ما يكون من قبل واليهم، ويتخيل أهل مصر أنّ حال أهل الكوفة أسوأ ما يكون من قبل واليهم، فيقع التذرّ والسخط في الناس، ممّا يزيد في إشعال الفتنة وتأجيج الاحتجاجات (الطبري، 1967، ج 4 ص 341)..

2.1.2.5.. تزوير الكتب:

من أخطر الكتب المزوّرة على لسان الخليفة عثمان، هو كتاب الراكب الذي تعرض للوفد المصري، حيث في أعقاب الفتنة ذهب وفد مصري لمناقشة عثمان رضي الله عنه في الأمور التي أخذوها

عليه، فناقشهم الخليفة وبين لهم الحقيقة وفند الشائعات، فرجع الوفد المصري إلى وطنه راضياً، فبينما هم بالطريق إذ براكب يتعرض لهم ويفارقهم، ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم، فلما سألوه عن حاله، أخبرهم أنه رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان، عليه خاتمه إلى عامل مصر: أن يصلحهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم، فأقبلوا حتى قدموا المدينة، فأتوا علياً رضي الله عنه، وأخرجوا له الكتاب، ثم انطلقوا إلى عثمان فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا، فقال الخليفة: (إنهما اثنتان، أن تقيموا رجلين من المسلمين، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أملت ولا علمت، وقد يُكتب الكتاب على لسان الرجل ويُنقش الخاتم على الخاتم) (الطبري، 1967، ج 4 ص 341) . فكان هذا الكتاب المزور سببا في حصار الخليفة وقتله.

ولم يكتف المحتجون بتزوير كتب عثمان، ولجأوا إلى تزوير الكتب على لسان زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم وينسبونها إليهن، ليستخدمنها كوسيلة فعالة في تحريض الناس على عثمان وولاته، وإعطاء شرعية لأعمالهم التخريبية، بدعوى أن الصحابة وافقوهم وشجعوهم عليها (الصبيحي، 2003، ص 472) .

2.2.2.. أثر الدعاية في إشعال الاحتجاجات:

2.1.2.2.. طرق الاحتجاج التي استعملها الثوار:

استخدم الثوار عدة طرق للاحتجاج، بعضها أعنف من بعض، فبدأوا أولاً بالشكاوى، حيث كان الخليفة يستقبل الكتب التي يرسلها الرعية من الأمصار إلى المدينة بما فيها من شكاوى، وقد اطلع عثمان على ما في هذه الكتب وعالج ما فيها (ابن شبة، 1399هـ، ج 3 ص 329). ولما اختمرت فكرة الثورة في عقول المحتجين، انتقلوا إلى طريقة أخرى، وهي التجمهر، فجعلوا يقدمون من مختلف الأمصار وبدأت المسيرات إلى مقر الخلافة، فخرجوا كجماعات منتظمة. الجماعة الأولى من مصر، وأدعوا بأنهم يريدون العمرة، وخرجت الثانية من الكوفة، والثالثة من البصرة (الطبري، 1967، ج 4 ص 341، 359). ومن طرق الاحتجاج أيضا العصيان المدني، وتجلى هذا العصيان فيما فعله أهل الكوفة، حين ثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة، وتألّبوا عليه، ونالوا منه ومن الخليفة، وبعثوا إلى عثمان من يناظره في قرارات عزل كثير من الصحابة وتولية جماعة من بنى أمية من أقربائه، وأغلظوا له في القول، وطلبوا منه أن يعزل عماله ويستبدل أئمة غيرهم من السابقين ومن الصحابة (ابن كثير، 1420هـ، ج 7 ص 166 وما بعدها).

وأخطر طريقة انتهجها المحتجون هي العنف والقتل، حيث بلغ الاحتجاج ذروته، ووصل إلى العنف والقتل. ومن ذلك:

- ضرب المحتجين لعبد الرحمن بن خنيس الأسدي وأبيه وهم في دار الإمارة بالكوفة، فكتب أشرف الكوفة وصلاحها إلى عثمان بإخراجهم إلى بلد آخر، فأرسلهم إلى معاوية في الشام.

• اقتحام المحتجين دار عثمان وقتله، وهو أخطر صور الانحراف في التعبير عن المعارضة. وبهذا يكون قد بلغ الاحتجاج ذروته، فليس بعد مقتل الخليفة فرصة للأمن أو الاستقرار. كما تخلل هذه الأحداث طريقة أخرى للاحتجاج وهي: الإنكار العلني على الخليفة وولاته، ومن ذلك ما حدث في أحد مجالس الخليفة عثمان رضي الله عنه حينما كان يخطب الناس، فإذا برجل يقال له: أعين، يقاطعه ويقول له: (يا نعثل إنك قد بدّلت)، فقال عثمان رضي الله عنه: (من هذا؟ فقالوا: أعين، قال عثمان: بل أنت أيها العبد)، فوثب الناس إلى أعين، وجعل رجل من بني ليث يمنعهم عنه حتى أدخله الدار (ابن شبة، 1399هـ، ج4 ص88).

2.2.2.2.. طريقة تعامل الخليفة مع الاحتجاجات:

لقد تجلّت حنكة وذكاء عثمان رضي الله عنه في تسيير خلافته، من بدايتها إلى نهايتها، خاصة في تسييره لمرحلة الثورة، فكان تعامله مع الاحتجاجات ينبئ عن حكمة عظيمة ورؤية استشرافية أعظم. ومن الأعمال التي قام بها لتسيير المرحلة الحساسة استشارة أعوانه وعمّاله، لا سيما الصحابة منهم. فلما كتب المحتجون من أهل المدينة إليه يدعونه إلى التوبة، ويتوعدونه بالقتل، أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله، علم أنّ القوم لن يتركوه حتى يقتلوه، فجمع نصحاء وأهل بيته ليشاورهم، فأجابوه لذلك كل واحد بما أداه إليه اجتهاده (الصبيحي، 2003، ص683).

كما اعتمد الخليفة أسلوب المناظرة لثني المحتجين عن ثورتهم، ولقد نجح في ذلك، لولا أنّ ابن سبأ كان يفسد كل إصلاح يقوم به الخليفة؛ ومن هذه المناظرات أنّه لما خرج القوم من مصر قاصدين المدينة، بلغه خبر قدومهم، وكان في قرية خارج المدينة فلما سمعوا بوجوده فيها، اتجهوا إليه فاستقبلهم، وبدأوا يناظرونه في ما ينقمون به عليه، فناظرهم وحاججهم حتى رجعوا إلى ديارهم راضين (الصبيحي، 2003، ص154).

كما حرص عثمان على إبعاد الرعية قدر الإمكان عن الصراع، فحين اشتد عليه هجوم الثوار، تصدّى لهم: الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومَن كان من أبناء الصحابة، ونشب القتال ناداهم عثمان وطلب منهم عدم التدخل، فأبوا، ودخلوا لينصروه، فأمرهم ألا يفعلوا؛ بل إنه أعلن لعبيده أنّه مَن كفّ يده منهم فهو حرّ (الصبيحي، 2003، ص199).

وأيضاً تجلّت صرامته رضي الله عنه في تسيير هذه المرحلة الحساسة، حين حاصره الثوار، واستدعى بعض زعمائهم ليحاوهم، فوجد أنهم يُخَيَّرُونَهُ بين واحد من أمور ثلاثة: إما أن يخلع نفسه عن الخلافة، وإما أن يقص من نفسه، وإما أن يُقتل. فكان موقف الخليفة صارماً وصريحاً، فرفض عثمان رضي الله عنه خلع نفسه، مع أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم خالفه فيما ما ذهب إليه، وأشاروا عليه أن يخلع نفسه ليعصم دمه، لكنه رفض ذلك حفاظاً على هيبة منصب الخليفة والدولة (الطبري، 1967، ج4 ص371).

3.2.. نتائج الاحتجاجات (الصبحي، 2003، ص 235):

كانت هذه الاحتجاجات وما أعقبها من ثورة على نظام الحكم، أعظم مصيبة أصابت الأمة بعد موت نبيها صلى الله عليه وسلم، وتركت أثرا بالغاً ونتائج وخيمة، أهمها:

1.3.2.. مقتل الخليفة:

استشهد الخليفة عثمان في ذي الحجة من السنة الخامسة بعد الثلاثين من الهجرة، وكان عمره اثنتين وثمانين سنة، والذي قتله رجل مصري، لم تفصح الروايات عن اسمه، وبينت أنه سدوسي الأصل، أسود البشرة، لقب بـ (جبله) لسواد بشرته

2.3.2.. توقف الفتوحات:

بدأ ضعف الفتوحات تدريجياً خلال السنين الأخيرة من خلافة عثمان، عندما بدأت الفتن تضرب بلاد الإسلام ومركز الخلافة، ثم توقفت عندما قتل عثمان، واستمرت متوقفة بل تراجعت في بعض الأماكن إلى بداية عهد معاوية، حيث استقرت أحوال المسلمين فانطلقت الفتوحات شرقاً وغرباً وشمالاً.

3.3.2.. ذهاب الأمن:

من بداية الاحتجاجات وإلى ما بعد استشهاد الخليفة، تميزت هذه المرحلة باختلال أمن المسلمين، وظهور اللصوص، وقطاع الطريق، وعمت الفوضى.

4.3.2.. الانفلات السياسي والعقدي:

كانت هذه الفتنة سبباً لنمو الفكر التكفيري والعنف السياسي، خاصة من بعض التيارات التي تتبنى منهج التغيير بالسيف دون ضوابط شرعية، كالخوارج، مما فتح باب الخلاف والفرقة في الأمة، وأضعف هيبة الدولة، وشوّه مفهوم الخلافة والشرعية، ما أدى لاحقاً إلى ظهور الفرق والمذاهب المتنازعة، وهو ما يُستغل في عصرنا لتبرير الانقسامات الطائفية والسياسية.

4.4.. احتجاجات على الخليفة عثمان في ضوء الواقع المعاصر:

شكّلت الأحداث التي أدت إلى مقتل الخليفة عثمان بن عفان منعطفاً حاسماً في التاريخ الإسلامي، حيث مثلت تحولاً من نموذج الخلافة الراشدة القائم على الشورى إلى مرحلة الصراعات الداخلية المعروفة بالفتنة الكبرى. وتُظهر الأحداث التي وقعت في تلك الحقبة، تشابهاً لافتاً مع أنماط الأزمات السياسية والاجتماعية في واقعنا المعاصر، لا سيما من حيث دور الإشاعات والدعاية المضللة في تأجيج الاحتجاجات، وتآليب الرأي العام، والتأثير في استقرار الدولة. فقد استُخدمت في تلك الفترة وسائل "اتصال بدائية – كالرسائل الكاذبة، والتحريض الشفوي في المساجد والأسواق – بطريقة تشبه إلى حد بعيد ما تقوم به بعض الوسائط الحديثة كالإعلام السمعي البصري والمكتوب، إضافة إلى منصات التواصل الاجتماعي في نشر الأخبار المغلوطة وتعبئة الجماهير، وتضخيم الأزمات السياسية وخلق واقع مشوه، كما حدث في أحداث الربيع العربي، كما أن استغلال المطالب الإصلاحية المشروعة

لتقويض النظام السياسي القائم، وإثارة الفوضى، يعكس سلوكاً ما زال يتكرر في العديد من السياقات الحديثة..

وبالتالي، فإن دراسة تلك المرحلة التاريخية تُقدّم إطاراً مرجعياً لفهم جذور الفتنة، وآليات تسييس الاحتجاج، وحدود المعارضة المشروعة، مما يُسهم في بناء وعي مجتمعي معاصر متزن يُفرق بين النقد البناء والتخريب الممنهج.

خاتمة:

هذا البحث يكشف كيف يمكن للرواية المغرضة أن تشكل الوعي الجماعي وتؤدي إلى عنف واسع النطاق. ويبين ذلك النتائج التي توصلنا إليها:

1. إن خلافة عثمان خلافة شرعية.
2. إن منهج عثمان بن عفان رضي الله عنه في الحكم، منهج ريانٍ نبويٍّ راشديٍّ.
3. اعتمد الثوار على مصوغات واهية للاحتجاج على الخليفة، منها: عدم شهوده غزوة بدر، تخلفه عنبيعة الرضوان، استعمال الأحداث وتولية الأقارب.
4. أكثر الشخصيات المحركة للاحتجاجات هو عبد الله بن سبأ اليهودي.
5. من العوامل المهيمنة للاحتجاجات: التغير الاجتماعي في عهد عثمان، قابلية المجتمع لقبول الشائعات، العصبية الجاهلية.
6. من أساليب الدعاية التي استعملها المحتجون: الإشاعة والتحريض، الطعن على الولاة، إبراز الجوانب السلبية للحياة الاجتماعية والسياسية.
7. طرق الاحتجاج التي استعملها الثوار كثيرة منها: الشكاوى، التجمهر والمسيرات، العصيان المدني، العنف والاعتقال.
8. طريقة تعامل الخليفة مع الاحتجاجات تمثلت في: المشورة، مناظرة المحتجين، نصيحهم وتذكيرهم والرفق بهم، وإبعاد الرعية قدر الإمكان عن مواطن الصراع.
9. أسفرت الاحتجاجات عن نتائج وخيمة أبرزها: مقتل الخليفة، توقف الفتوحات، ذهاب الأمن، الانفلات السياسي والعقدي.
10. هناك تشابه واضح في الأساليب الدعائية والطرق الاحتجاجية في القديم والحديث،

التوصيات:

1. ضرورة تمحيص الروايات المتعلقة بالخلافة الراشدة عموماً وبخلافة عثمان خصوصاً.
2. تشجيع الدراسات الأكاديمية المحايدة التي تتناول الاضطرابات السياسية في العصر الراشدي وما بعده.
3. إقامة الملتقيات التي تتناول الخلافات السياسية في عهد عثمان وبيان أنها لم تكون دينية في الأصل.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن شبة، عمر. (1399هـ). تاريخ المدينة. ت: فهم شلتوت. دار الكتب العلمية، بيروت.
2. ابن فارس، أحمد. (1382 هـ). معجم مقاييس اللغة (الطبعة الثانية). دار الجيل ودار الفكر، بيروت.
3. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1420 هـ). البداية والنهاية. (الطبعة الأولى). ت: عبد الله التركي. دار هجر، الرياض.
4. بدوي، أحمد. (1985). معجم مصطلحات الإعلام. دار الكتاب المصري اللبناني، القاهرة.
5. رشيد حميل، (2007)، الحرب والرأي العام والدعاية، كتاب صادر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجائزة عاصمة الثقافة العربية.
6. الدباغ فخري، وقيس عبد الفتاح مهدي. (1986) علم النفس العسكري الإصدار ط1). بغداد: مطبعة جامعة بغداد.
7. شفارتز، برنارد (1974)، القانون في أمريكا، ترجمة المستشار ياقوت العشماوي، دار المعارف، القاهرة، ط 1.
8. الصبيحي، محمد. (2003). فتنة مقتل عثمان بن عفان. رسالة ماجستير. كلية الدعوة وأول الدين، الجامعة الإسلامية.

- السعودية.
9. الصلّابي، علي محمد. (2002). تيسير الكريم الرحمن في سيرة عثمان بن عفّان. (الطبعة الأولى). دار التوزيع والنشر الإسلامية. القاهرة.
10. الطبري، محمد بن جرير. (1967). تاريخ الرسل والملوك. (الطبعة الثانية). ت: محمد إبراهيم. دار المعارف، مصر.
11. عبد الحميد عمر، أحمد مختار. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة. (الطبعة الأولى). عالم الكتب، القاهرة.
12. المشاقبة، معن يوسف. (2014). أثر الاحتجاجات الشعبية على الإصلاح السياسي في الأردن (2012_2014). رسالة قدمت استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في العلوم السياسية، معهد بيت الحكمة، جامعة آل البيت، الأردن.
13. نوفل، أحمد. (1987). الإشاعة. دار الفرقان، عمّان.
14. Louis Maheu et David Descent, printemps 1990, Canada, Les mouvements sociaux : un terrain mouvant, Nouvelles pratiques sociales, Volume 3, numéro 1